



عنوان المذكرة:

سيمائية العنوان
في رواية "ذاكرة الماء"
لـ "واسيني الأعرج"

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس نظام جديد
شعبة الأدب العربي

إشراف الأستاذة:
نبيلة بونشادة

إعداد الطلبة :

* هشام زلاقي
* سليمان نموشي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتَى
إِنَّ رَبَّهُ لَسَدِيدٌ
إِلَىٰ عَرْشِهِ الرَّحِيمُ
الَّذِي يُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ
وَيُدْخِلُهُمْ فِي الْأَرْحَامِ
مِمَّا يَخْتَارُ وَإِن تَبِخَّرُوا
فِي الْأَرْحَامِ أَرْبَعًا
إِن تَبِخَّرُوا فِيهَا سِنِينَ
وَأَن تَبِخَّرُوا فِيهَا
أَلْفًا عَشْرًا قَدْ جَعَلْنَا
لَكُمْ فِي هَذِهِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ

حذركم

اللهم لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا

ولا باليأس إذا أخفقتنا

وذكرنا أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح

اللهم إذا أعطيتنا نجاحاً فلا تأخذ تواضعنا

وإذا أعطيتنا تواضعاً فلا تأخذ امتزازنا بكرامتنا

اللهم داومي الجراح والآلام وأرحم دموع اليتامى

وأنقض الأقسى و القدس و أيقض الروح و الحسن.

أمين

تقدير وتشكر

بسم الله الرحمن

الرحيم

الحمد لله الذي هدانا إلى نور العلم وميزنا بالعقل الذي يسير طريقنا
الحمد لله الذي أعطانا من موجبات رحمته الإرادة والعزيمة على إتمام
عملنا، نحمدك يا رب حمدا يليق بمقامك وجلالك العظيم.
جرت العادة أن يكون وراء كل إمداد وبخش أشخاص منهم من
يساهم بالنصح والبعض بالتوجيه ومن باب الجميل لأن نتقدم
بتشكراتنا الخالصة:

* إلى من لم يبخلوا علينا بنصائحهم القيمة وإرشاداتهم الوجيهة
إلى كل أساتذة كلية اللغة والأدب العربي.

* إلى الربى كارت وما زالت في خدمة العلم، وندعو الله أن يبقئها للدروب منيرة
الأستاذة المشرفة نبيلة بونشادة.

* وإلى كل من أمدنا بمداد العون لإنجاز هذا العمل المتواضع...

طه

مقدمة

تمهيد

الفصل الأول : إشكالية المصطلح

1- ماهية السيميائية

1-1- لغة

1-2- اصطلاحا

2- الإتجاهات السيميولوجية

2-1- سيميولوجيا التواصل

2-2- سيميولوجيا الدلالة

2-3- سيميولوجيا الثقافة

3- ماهية العنوان

3-1- لغة

3-2- اصطلاحا

4- مكان ووقت ظهور العنوان

4-1- مكان ظهور العنوان

4-2- وقت ظهور العنوان

5- وظائف العنوان

5-1- الوظيفة التعيينية

5-2- الوظيفة الإيحائية

5-3- الوظيفة الوصفية

5-4- الوظيفة الإغرائية

الفصل الثاني : ماهية العناوين

- دلالات الذاكرة

1-1- المستوى اللغوي

1-2- المستوى الدلالي

2- دلالات الماء

2-1- المستوى الغوي

2-2- المستوى الدلالي

3- مميزات الغلاف الخارجي لذاكرة الماء

4- دلالات الألوان

5- قراءة في العناوين الفرعية لـ " ذاكرة الماء "

5-1- العنوان الرئيسي: " ذاكرة الماء "

5-2- العنوان الفرعي: " محنة الجنون العاري "

5-3- العنوان الجزئي الأول : " الوردة والسيف "

5-4- العنوان الجزئي الثاني : " الخطوة و الأصوات "

مقدمه

إن الحديث عن العنوان يحيلنا إلى واقع إنساني، فإذا كان العنوان الشخصي (*la dresse*) يدل على محل الشخص و إقامته الدائمة، فكذلك يدل العنوان (*le titre*) على شخصية الإنتاج، ويعمل على تمييز الأعمال الأدبية من نصوص وقصائد ومؤلفات.

ومع تطور البحوث والدراسات - لاسيما في العصر الحديث - نال العنوان حظاً وافراً ضمن الدراسات السيميائية ، وذلك باعتباره العتبة الأولى ، و البوابة الرئيسية التي يلج القارئ من خلالها إلى عالم النص وعلى هذا الأساس عمد الأدباء إلى وضع عناوين مغرية لمؤلفاتهم ، ويضفون عليها نوعاً من الغموض ، الذي يكون بدوره حاملاً لأسلوب التشويق . ذلك وأن معظم الباحثين في هذا المجال يشبهون الكتب و المؤلفات بالسلعة التي تباع وتشتري ، فيتحنم على المروج لهذه السلعة أن يزين الجزء الظاهر منها ، وهذا ما نجده على ظهر الغلاف من اختيار العنوان ، ووضع ألوان مناسبة لهذا الموضوع الذي يعالجه النص ، وقد يكون حاملاً لصورة فوتوغرافية غايتها التوضيح، أو على الأقل تزويد القارئ بنظرة عامة عن الموضوع .

ولقد اخترنا الدراسة السيميائية للعنوان ، باعتبارها من الدراسات الحديثة التي فرضت كيانها كعلم جديد في العصر الحديث، كما لها دور هام في مقارنة النص وفك شفراته، بالاعتماد على التحليل والتأويل والتفسير، وهذا ما يشجع روح البحث والمثابرة. لذا وقع اختيارنا على رواية " ذاكرة الماء " لـ "واسيني الأعرج" كنموذج للتطبيق، ذلك أن عنوانها في حد ذاته يحمل غموضاً يثير كثيراً من التساؤلات، هذا الغموض الذي يفاجئ قارئ الرواية للوهلة الأولى، فيبعث في نفسه رغبة في اكتشاف خفاياه والتطلع على أسراره.

أما فيما يخص المصادر التي اعتمدها فقد كانت كافية للإحاطة ببحثنا، حيث تنوعت بين العربية و الفرنسية، ومن تلك المصادر نذكر: كتاب "عتبات" لـ "جيرار جينات"، شعرية الفضاء لـ حسن نجمي، اللغة والخطاب الأدبي لـ روبرت شولز"، السيميوطيقا والعنونة لـ "جميل حمداوي"، إلى جانب بعض المعاجم وكتب المحاضرات التي تقام في الجامعات حول السيميائية و النص.

وبما أنه لكل دراسة منهج خاص على الباحث إتباعه، فقد اتخذنا المنهج السيميائي كوسيلة إجرائية لمقاربة النص لا سيما و أنه يتطلب القراءة و التأويل.

أما بالنسبة للإشكال الذي يطرح إزاء هذه الرواية: هل العنوان " ذاكرة الماء " يوافق حقا ما جاء في متن الرواية، أم أنه يخالف أحداثها؟ وماذا يقصد واسيني الأعرج به؟ وما هي العلاقة التي تربط الماء كشيء مادي ثابت، بالذاكرة وهي شيء معنوي متجدد؟

فهذا ما أردنا توضيحه طيلة بحثنا، في محاولة للإحاطة بالجوانب الخفية التي لا تتجل للقارئ البسيط، وذلك قصد الكشف عما يرمي إليه الروائي حقيقة، من خلال نصه المفعم بالدلالات والرموز.

وقد قسمنا بحثنا هذا إلى مقدمة و تمهيد، تناولنا في التمهيد الإرهاصات الأولى التي تمثلت في بعض الإشارات حول السيميائية: نشأتها، جذورها، وأعلامها البارزون، كل بمساهمته وجهده في إثراء النظرية السيميائية. وقد أتبعنا ذلك بتعريفات مجموعة من الباحثين حول السيمياء سواء أكانوا من الغرب أو من العرب، كما ذكرنا الخلاف القائم بين المصطلحين السيميولوجيا (la sémiologie) والسيميوطيقا (la sémiotique) حيث أن هذا الخلاف لا يتعدى مستوى اللغة في حين يجب أن تكون مهمة المشتغلين في هذا الحقل أوسع و أعمق.

وانتقلنا بعد التمهيد إلى تقسيم بحثنا إلى فصلين؛ الأول نظري و الذي يدور حول إشكالية المصلح، وتطرقنا فيه إلى ماهية السيميائية (على المستويين اللغوي و الإصطلاحي). كما تعرضنا إلى الحديث عن الاتجاهات السيميولوجية باعتبارها تفرعت من أصل واحد. ثم تحدثنا عن ماهية العنوان و وقت ومكان ظهوره، مُتبعين ذلك بأنواعه ووظائفه.

أما الفصل الثاني فكان للجزء التطبيقي من بحثنا، حيث تحدثنا فيه عن دلالات الذاكرة، كما تناولنا فيه مميزات الغلاف الخارجي للرواية، دلالة الألوان، وأتبعناها بقراءة للعناوين الفرعية: الوردة والسيف، الخطوة والأصوات، مع إعطاء نظرة عن كل عنوان بما يحمله من دلالات. وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهتنا خلال بحثنا هذا، والمتمثلة في كوننا ضمن الدفعة الأولى التي هي بصدد التخرج من الجامعة - جامعة ميله - وكذلك صعوبة الحصول على المراجع مما زاد من معاناة البحث والتنقل بين الجامعات المجاورة، إلا أننا استطعنا - بتوفيق

من الله - أن نتم هذا العمل المتواضع الذي ما هو إلا حصيلة جهد مقل، نرجو أن يكون قد أضاف شيء - ولو بالقدر اليسير - إلى المعرفة بصفة عامة، وإلى الأدب بصفة خاصة.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر لجامعة ميله التي احتضنتنا طيلة سنوات دراستنا، كما نتقدم بالشكر لكل من ساهم في تزويدنا بالمعرفة وتحفيزنا على الدراسة والبحث، سواء أكانوا أساتذة و مؤطرين، أو عمال وموظفين، وبخاصة قسم الأدب واللغة العربية. هذا ودون أن ننسى التوجه بالشكر والعرفان للأستاذة المشرفة التي كان لها الفضل الكبير في إنجازنا لهذا البحث، حفظها الله، ووفقها إلى خدمة العلم، وجزاها عنا خير جزاء ولها منا أسمى عبارات الإحترام و التقدير.



تصليح

يعتبر النص من الفضاءات الثرية التي تفتح المجال أمام القارئ لاكتشاف أسراره والبحث في خفايا الظواهر الأدبية، وقد عمد النقاد والباحثون إلى دراسة النصوص قصد فهمها و تحليلها، و بما أن هذه الدراسة تفرض على القارئ إتباع منهج معين في بحثه، فقد تعددت المناهج النقدية،

بدءاً بالمناهج السياقية (التي تصب اهتمامها على السياق الخارجي للنص) مروراً بالمناهج البنيوية (والتي تهتم بتراكيبه و بنيته)، أي الشكل الخارج فقط، وصولاً إلى مناهج حديثة صارت تعتمد على تأويل النص وتفسيره، ولعل السيميائية - كمنهج اكتملت معالمه حديثاً - قد أولت اهتماماً بالغاً بمقاربة النص، ليس من خلال بنيته السطحية فحسب، بل تعدت ذلك من خلال نظرتها إلى العلامة اللغوية بوصفها إشارة سابحة في فضاء دلالي مكثف وملغم بالإيحاءات.

أما إذا أردنا الرجوع إلى الجذور الأولى للبحث السيميولوجي فإننا نجد بدءاً في إرساء قواعده - وهذا منذ منتصف الستينات - وكان ذلك نتيجة بعض الشكوك في الكفاءة المنهجية للبنيوية بشتى حقولها، لتتحول هذه الشكوك إلى تيارات نقدية، قامت بنقد و تنفيذ المنهج البنيوي، شأنه شأن المناهج الأخرى التي سبقته.

كما أن البحث السيميولوجي حاول نقد البنيوية الوصفية، حيث قام بإعطاء نظرة مغايرة و مفاهيم جديدة تعدت مختلف المعارف والعلوم السابقة، و جاءت لحظة تاريخية تمثلت في الانتقال من البنيوية إلى السيميولوجيا، إذ بدأت مرحلة السيميولوجيا و التأويل والبحث بصورة لم تعرف من قبل¹. مع العلم أن أهم المجددين كانوا من أقطاب البنيوية أنفسهم، ذلك أن حدودها

الضيقة وقيدها الصارمة²، دفعت بهم إلى التحرر والخروج عن قواعدها، ليفتح المجال أمام البحث السيميولوجي، الذي سرعان ما انتشر عن طريق بحوث ودراسات كشفت عن أهمية علم العلامات.

¹ - عبد الله إبراهيم و آخران، معرفة الآخر: مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 1990، ص:25.

² - عبد الله إبراهيم و آخران، معرفة الآخر: مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، ص:25.

وقد ارتبط علم العلامات (la science des ceignes) بمعنيين اثنين هما:

- العالم السويسري (فرديناند دي سوسير 1857-1913) والذي يعد أول من سمى هذا العلم بـ (السيمولوجيا).

- أما المنبع الثاني فهو الفيلسوف الأمريكي (شارل سندرس بيرس 1838-1914)¹ والذي كان سابقا في تسمية هذا العلم بـ (السيميوطيقا) فقد وسع من نطاق العلامة لتشمل حقولا معرفية علمية و اجتماعية.

والسيمائية كعلم جديد واجهت عقبات معرفية تجلت في كونها ليست بعد علما مستقلا واضح المعالم بين جميع العلوم الأخرى، أو ذات الموضوعات الخاصة، وتلك القضايا التي من المفترض أن تندرج أو تندمج في السيمولوجيا ما تزال موزعة على عدة علوم.

وفي الواقع ظهر مصطلح السيميائية أولا في مجال الطب العلاجي أو مجال الطب النفسي، وهو دراسة علامات المرض و أعراضهم وأحوالهم الجسدية واللفظية، أما في مجال اللسانيات الحديثة فقد ظهر - كما وضعنا سابقا - المصطلح مع العالم اللساني (فرديناند دي سوسير) كمشروع علم جديد، موضوعه دراسة حياة العلامات في إطار الحياة الاجتماعية، ورغم اتفاق الباحثين حول شمولية علم العلامات، كونه علما خاصا بأنظمة التواصل، باعتبار أن:

« la sémiologie est elle pour Saussure et pour Peirce « une science qui étudie la vie ceignes au sein de la vie sociale² .« لكن هذا لا ينفي اختلافهم في بعض القضايا الأخرى مثل اختلافهم في تحديد طبيعة المصطلح.

¹-المرجع نفسه، ص:73.

²- dictionnaire historique, thématique des littératures librairie, la rousse 1986.

من البداية يبدو الأمر ملفتا للانتباه بالنسبة لاستعمال المصطلحين، ولكن في الحقيقة لا يعد اختلافا بل هو ترادف لغوي، يضع القارئ في متاهة التعدد الذي له مخاطره ومزالقه، فالمفارقة بين مصطلحي السيميولوجيا والسيميوطيقا لا تكمن في جوهرهما أي في مجال الدراسة، وإنما نجدها على مستوى اللغة، وحسب طبيعة كل مدرسة؛ فالفرنسيون يسمونها السيميولوجيا والأمريكيون يطلقون عليها اسم السيميوطيقا.

الاستعلام من المصطلح

4-مكان ووقت ظهور العنوان

4-1-مكان ظهور العنوان

1- ماهية السيمائية

1 ماهية السيميائية:

1-1 لغة:

السيماء: العلامة، مشتقة من الفعل "سام" الذي هو مقلوب "وَسَمَّ"، وزنها "عَفْلَى"، وهي في الصورة "فِعْلَى"، يدل على ذلك قولهم: سِمَةٌ، فإن أصلها: وَسَمَةٌ، ويقولون: سِيَمَى بالقصر، وسيماء بالمد، وسيماء بزيادة الياء وبالمد، ويقولون: سَوَمَ إذا جَعَلَ سمة، وكأنهم إنما قلبوا حروف الكلمة لقصد التوصل إلى التخفيف لهذه الأوزان، لأن قلب عين الكلمة متأتٍ خلاف قلب فائها، ولم يسمع من كلامهم فعل مجرد من "سَوَمَ" المقلوب، وإنما سمع منه فعل مضاعف في قولهم: سَوَمَ فرسه، أي: جعل عليه السيمة، وقيل: الخيل المسومة هي التي عليها السيمة والسومة، وهي العلامة¹.

وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم في عدة مواضع منها قوله تعالى: "تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً"²، أي علاماتهم التي يعرفون بها الخير والشر. وقال الله تعالى أيضاً: "سيماهم في وجوههم من أثر السجود"³، أي علاماتهم وهو نور يغطي به الله به وجوه المصلين يوم القيامة. كما يقول عز وجل أيضاً: "وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم"⁴. ويقول الله تعالى أيضاً: "ونادى أصحاب الأعراف رجال يعرفون بسيماهم"⁵.

ويقول تعالى أيضاً: "يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام"⁶. ويقول تعالى في كتابه الكريم: "حجارة من طين مسومة عند ربك للمسافرين"⁷.

ويقول أيضاً "الخيال المسومة"⁸، أي الخيل الحسان المعلمة. وجاء في الأثر: "إن لله فرسان من أهل السماء مسومين" وفي الحديث قال: "يوم يدروا فإن الملائكة قد سوموا"، أي عملوا لكم علامة يعرف بها بعضكم بعضاً. وفي حديث الخوارج: "سيماهم التحليق" أي علاماتهم⁹.

¹ ابن منظور: لسان العرب، دار النشر بيروت، مادة (سوم)، ص: 311-312.

² سورة البقرة: الآية 273.

³ سورة الفتح: الآية 29.

⁴ سورة الأعراف: الآية 46.

⁵ سورة الأعراف: الآية 48.

⁶ سورة الرحمان: الآية 41.

⁷ سورة الداريات: الآية 34.

⁸ سورة آل عمران: الآية 14.

⁹ يوسف وجليسي: محاضرات في النقد الأدبي المعاصر، منشورات جامعة منتوري قسنطينة، 2005، ص: 72.

وقد وردت كلمة سيمياء كذلك في الشعر ومنه قول أسيد بن العنقاء الفزاري يمدح عميله

حين قاسمه ماله:

غلام رماه الله بالحسن يافعا *** له سيماء لا تشق على البصر

كأن الثريا علقت فوق نحره *** وفي جيده الشعري وفي وجهه القمر¹

كما أن المعاجم الأجنبية هي الأخرى قد تناولت هذا المصطلح - سيمياء - وخصصت له القدر الذي يستحقه من الاهتمام والوقوف، ولذلك سنكتفي ببعض المفاهيم المعجمية و بالأخص معجم

لا روس LA ROUSSE الذي حدد مصطلح "السيمياء" في النقاط التالية:

- نظرية الأدلة .

- نظرية الأدلة الثقافية وخصوصا الأدبية .

- علما عاما للأدلة بشكل مقارنة علمية طفرت خلال سنوات الستينيات².

1-2- اصطلاحا :

إن مصطلح السيمياء يعني في أبسط تعريفاته وأكثرها استخداما نظام السمة أو العلامة،

وذلك وفق قواعد لغوية متفق عليها في بيئة معينة.

والسيمياء عبارة عن لعبة التفكيك والتركيب وتحديد البنيات السطحية المتمظهرة فونولوجيا ودلاليا³.

ودلاليا³. وهي بأسلوب آخر دراسة شكلانية للمضمون تمر عبر الشكل لمسائلة الدوال من أجل

تحقيق معرفة دقيقة للمعنى⁴.

وهناك شبه اتفاق بين العلماء حول هذا المصطلح - السيمياء - يعطي المكانة المستقلة

للغة. يسمح بتعريف السيمياء على أنها دراسة الأنماط والأنساق العلمانية غير اللسانية¹. إلا أن

¹ الجوهري: الصحاح ، دار العلم للملايين ، بيروت ط3 : 1984 ، 5/ 1956 ماجة (سوم) .

² مسيكة ذيب :البنية العاملة في رواية (عباد الشمس) السحر الخليفة ، دراسة سميائية ، مذكرة لنيل شهادة

الماجستير في الأدب العربي الحديث ، جامعة منتوري قسنطينة ، 2007-2008 . ص3 .

³ ينظر جميل حمداوي: " مجلة عالم الفكر الكويت " ، 25 ، العدد 3 مارس 1997 ، ص97.

⁴ المرجع نفسه: ص 98.

العلامات في أصلها قد تكون لسانية (لفظية) وغير لسانية (غير لفظية)². فالسيميائية هي علم الإشارة الدالة مهما كان نوعها وأصلها، وهذا يعني أن النظام الكوني بكل ما فيه من إشارات ورموز هو نظام ذو دلالة، وهكذا فإن السيميولوجيا هي العلم الذي يدرس بنية الإشارة وعلاقتها في هذا الكون، وبالتالي نوعها و وظائفها الداخلية³.

وقد اختلفت تعاريف السيميائية من عالم إلى آخر، " فرديناند دي سوسير "يعرفها: بأنها عبارة عن علم يدرس الإشارات أو العلامات داخل الحياة الاجتماعية⁴.

كما يقول " بيرس " في هذا الصدد - تعريف السيميائية - : " ليس باستطاعتي أن أدرس أي شيء في الكون كالرياضيات والأخلاق والميتافيزيقا و الجاذبية الأرضية والديناميكية الحرارية والبصرية و الكيمياء، وعلم الصوتيات وعلم الاقتصاد، وتاريخ العلم والكلام ... إلا أنه نظام سيميولوجي " ⁵. وبهذا تتحول السيميائية إلى جهاز إجرائي غايته القسوى هي البحث عن مختلف الأنظمة الدلالية وفي مختلف العلوم سواء أكانت إنسانية أو عقلانية، لأن بيرس أدرك أن هذه العلوم تقوم على مبدأ الإشارة (العلامة).

كما عرّف السيميائية أيضا إمبيرتوايكو بقوله: " تعنى السيميائية بكل ما هو إشارة" (2)⁶. حيث اعتبر إيكوا السيميائية بأنها كل علم يهتم بدراسة الإشارة. ويرى " روبرت شولز " بأن السيميائيات هي: " منطقة الحدود المضطربة بين الإنسان والعلوم الاجتماعية حيث غالبا ما يعتقد علماء الإنسانيات أنها صارمة جدا، في حين يرى علماء الاجتماع أنها تعوزها الصرامة العلمية

¹ بيير جيرو: " علم الإشارة -السيميولوجيا- ترجمه عن الفرنسية منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1988، ص 23.

² حنون مبارك: " دروس في السيميائيات "، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط1: 1987، ص: 29.

³ مازن الوعر: مقدمة علم الإشارة -السيميولوجيا- لبييرجيور، ص: 9.

⁴ ينظر: ترنس هوكز: البنيوية وعلم الإشارة، ترجمة مجيد الماشطا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986، ص: 113.

⁵ بشير تاويريريت: محاضرات في منهج النقد العربي المعاصر، دار الفجر للطباعة و النشر، الجزائر، ط1: 2006، ص: 120. نقلًا عن: أعمال ملتقى " الأدب الجزائري في ميدان النقد، السيميائية والنص الأدبي " معهد اللغة و الأدب العربي، جامعة عنابة ، 1995 ، ص : 10.

⁶ ينظر: دانيال تشاندلس: " أسس السيميائية " ، ترجمة: طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان ط1 : 2008، ص: 28.

الكافية"¹. ويعرفها أيضا بقوله: " وحيث السيمياء هي دراسة الشفرات و الأوساط فلا بد لها أن تهتم بالإيديولوجية، وبالبنى الاجتماعية، والاقتصادية، وبالتحليل النفسي، و بالشعرية وبنظرية الخطاب"².

لقد اختلفت التعارف التي تدور حول معنى السيميولوجيا ولكنها دارت في فلك العلامة والأنظمة اللغوية فهي: ذلك العلم الذي يبحث في أنظمة العلامة لغوية كانت أو إيقونية أو حركية وبالتالي فإذا كانت اللسانيات تدرس الأنظمة اللغوية فإن السيميولوجيا تبحث في العلامات غير اللغوية التي تتشأ في حضان المجتمع.

لم يكن الإهتمام بالسيمياء مقتصرًا على الغرب وحدهم بل كان للعرب أيضا حظهم في ذلك، من أهم العلماء العرب الذين اهتموا بالسيمياء: "ابن خلدون"، "ابن سينا"، "الغزالي"، "الفرايبي"، "صلاح فضل"، "ابن كراد"، وغيرهم كثير.

فقد عزّف "ابن كراد" "السيمياء بأنها ذلك العلم الذي يهتم بجميع مظاهر الفعل الإنساني. فهي: أداة لقراءة كل مظاهر السلوك الإنساني بدءًا من الإنفعالات البسيطة ومرورا بالطقوس الإجتماعية وانتهاء بالأنساق الإيديولوجية الكبرى"³.

هذا وقد تحدث "عزالدين مناصرة" عن "العرب والسيمياء" حديثًا مطولًا أفصح فيه عن

الجزور الأولى للسيمياء عند "ابن سينا" و"ابن خلدون"، حيث أشار "عزالدين مناصرة" إلى مخطوطة تنسب إلى "ابن سينا" تحت عنوان "كتاب الدر النظيم في أحوال علوم التعليم" وورد في هذه المخطوطة فصل تحت عنوان "علم السيمياء" يقول فيه: "علم السيمياء علم يقصد فيه كيف تمزج القوى التي هي جواهر العلم الأرضي ليحدث عنها قوة يصدر عنها فعل غريب، وهو أيضا أنواع فمنه ما هو مرتب على الحيل والروحانية والآلات المصنوعة على ضرورة عدم الخلاء ومنه ما هو مرتب على خفة اليد وسرعة الحركة، والأول من هذه الأنواع هو السيمياء بالحقيقة و الثانية

¹ روبرت شولز: "السميائية والتأويل"، ترجمة سعيد الغانمي المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان ط1: 1994، ص:4.

² المرجع نفسه: ص : 14.

³ سعيد بن كراد: "السيمياءات مفاهيمها و تطبيقاتها"، منشورات الومن الدار البيضاء ط1: 2002، ص : 16.

من فروع الهندسة وسنذكره، والثالث هو الشعبة، وما يقال أنه يبلغ به الأمر إلى خارق العادة فيبعد جدا و أبعد منه حالته على خواص الأحرف أو الأسماء "1.

"وابن خلدون" هو الآخر قد خصص فصلا من مقدمته "لعلم أسرار الحروف"، فعلم أسرار الحروف هو - كما يقول - : "المسمى بالسيمياء نقل وضعه من الطلسمات إليه في اصطلاح أهل التصرف من غلاة المتصوفة، فاستعمل في الخاص وظهر عن غلاة المتصوفة، عند جنوحهم إلى كشف حجاب الحس وظهور الخوارق على أيديهم والتصرفات في عالم العناصر وتدوين الكتب والاصطلاحات في ترتل الوجود عن الواحد وترتيبه وزعموا أن الكمال الأسمائي مظهره أرواح الأفلاك والكواكب، وأن طابع الحروف وأسرارها سارية في أكوان هذا النظام (...) فحدث بذلك علم أسرار الحروف وهو من تفاريع السيمياء لا يوقف على موضوعه ولا تحاط بالعدد مسائله وتعددت فيه تأليف "البوني" و"ابن العربي". ومن فروع السيمياء عندهم استخراج الأجوبة من الأسئلة بارتباطات بين الكلمات حرفية يوهمون أنها أصل في المعرفة"2

2-الاتجاهات السيميولوجية:

توجد ثلاثة اتجاهات للسيميولوجيا توزعت كما يلي:

1- سيميولوجيا التواصل.

2- سيميولوجيا الدلالة.

3- سيميولوجيا الثقافة.

ولكن يوجد من روادها من تفرعوا في هذه الاتجاهات وكتبوا حوله وفصلوا في أهدافه و أدواته،

وهذه لمحة موجزة عن كل اتجاه:

2-1- سيميولوجية التواصل:

¹بشير تاويريريت: محاضرات في منهج النقد العربي المعاصر، تقديم عز الدين مناصرة لكتاب: ميشال أرفيه، جان كلود جيرو:

اليسميائية أصولها و قواعدها، ترجمة: رشيد بن مالك، منشورات الإختلاف الجزائر، 2002، ص : 23 .

²بشير تاويريريت: محاضرات في منهج النقد العربي المعاصر، ص: 24.

ربط روادها من أمثال : (بويسنس، برييتو، مونان، أوستن، ومارتيني) بين مجالها ووظيفتها التي تؤدي الأنظمة السيميولوجية المختلفة، لسانية كانت أو غير لسانية، وهذه الوظيفة حسب رأيهم هي التواصل لذلك نجدهم يقيمون العلامة على ثلاثة أسس تختلف عن العلامة عند "دي سوسير" و"بيرس" الذي تتكون عندهما من: (دال ومدلول و قصد)، مما جعل فرقا واضحا بين سيميولوجيا التواصل وسيميولوجيا الدلالة، فالهدف من الأولى هو التعبير عن المراد الشخصي وقصده أي تأثيره في المتلقي والمستقبل للعلامة بأي وجه من أوجه التأثير كان ذلك، هذا ما عبر عنه "ابن سينا" حين اعتبر قول العرب لغرضين واعتبارين هما:

أ-التأثير في النفس

ب-لعجب فقط¹.

حيث تقوم هذه الأخيرة (سيميولوجيا التواصل) على دعامتين أساسيتين هما: محور التواصل ومحور العلامة.

2-3- سيميولوجيا الدلالة:

يرى أنصار سيميولوجيا التواصل من أمثال "بريستس" ضرورة الحفاظ على موضوعها منسجما، وعدم تعريضه للتفكيك وذلك بالعودة إلى أفكار "سوسير" وهذا فيما يتعلق بالعلامة والذي أكد أنها ذات طبيعة اجتماعية، أي استعمالها في محيط اجتماعي عرفي، والذي يطرح الإشكال حول قصده، لذلك فإن "بارت" ومن جاء بعده من تلاميذه رأوا في جانب الممارسة السيميولوجية قالبا مؤلفا من وجهي العملة، التي أشار إليها "دي سوسير" نفسه في محاضراته (الدال والمدلول)، فالعلامة عنده "وحدة نفسية ذات وجهين"².

كما يعبر "دي سوسير" عن التلازم الضروري بينهما، فالدال يقتضي مدلولاً أو مدلولات بالضرورة، "وهذان العنصران مرتبطان ارتباطا وثيقا ويتطلب أحدهما الآخر... ونطلق على التأليف بين التصور concept، والصورة السمعية image acoustique، والدليل. ونقترح الإحتفاظ بكلمة دليل لتعيين المجموع و تعوض الصور والصورة السمعية على التوالي بمدلول و

¹ نوري سعودي ابو زيد: "الدليل النظري في علم الدلالة"، دار الهدى، عين مليه، الجزائر، 2007، ص: 13-14.

²حنون مبارك: "دروس في السيميائيات"، ص:37.

دال"1. إذن فالتلازم بين الدال والمدلول على هذا النحو يرفض معه مقولة وجود دال دون مدلول، بل هو أمر مستحيل وضرب من الهذيان لا طائل منه.

2-2- سيميولوجية الثقافة:

من الأحسن هنا أن ننطلق من رمزية "كاسيرن" الذي رأى بأن هناك اختلافا بين الوجود الحيواني والإنساني ، و من هنا حاول إلتماس ذلك الفرق من منطلقات فلسفية محضة و ذلك بالتركيز على خصائص النوع البشري و التي يمكن اختصارها فيما يلي:

أ- أن الإنسان يتميز عن الحيوان بالتجريد و ذلك من خلال نضامه الرمزي الذي يستعمله وبما أن حياته تقوم على مثير و استجابة غيرأن للإنسان استجابات لها صفة اللامباشرة و أنها يمكن أن تؤجل إلى حين إطلاق العقل سراحها .

2- ماهية العنوان :

حضيت العناوين بأهمية كبيرة في المقاربات السيميولوجية باعتبارها أحد المفاتيح الأولية و الأساسية التي على الباحث أن يحسن قراءتها وتأويلها و التعامل معها، فهو بمثابة العتبة التي على الدارس أن يطأها قبل إصدار أي حكم، فعنوان الرواية لا يوضع هكذا عبثا أو اعتباطا على الغلاف "إنه المفتاح الإجرائي الذي يمدنا بمجموعة من المعاني التي تساعدنا على فك رموز النص، و تسهل مأمورية الدخول في أغواره و تشعباتها الوعرة"2.

¹المرجع نفسه: ص:37.

²جميل حمداوي : السميوطيقا و العنوان ، عالم الفكر ، الكويت ، مارس 1997 ص 90 .

وإن كانت النصوص القديمة - وبخاصة الشعرية - كما حفظها لنا التاريخ مغفلة الاهتمام بالعاون فإل الدراسات الءءءة أعطت للءنسفن؁ أو الصناعتفن (الشعر و النثر) على ءء تعبفر " أبف هلال العسكرف " ءقهما فف الاءتمام و التمزف؁ و ما ذلك - ءسب رافف - سؤف أء مظاهر التطور الءف عرفته النصوص الأءبفة .

ونتصور على سبفل المائل إنءا أءبفا بعفءا عن منءءه؁ و عم لا أءبفا لا فملك عنوانا ءاصا به؁ إننا بالءأكد سوف نفع فف اللبس؁ و ءء ننسبه إلى ءفر صاءبه؁ إلا أنه كما فءل العنوان الشءصف (la dresse) على محل الشءص و إقامته الءائمة فءل العنوان (le titre) كذلك؁ على شءصفة الإنءاء. كما أن العلاءة بفن الإءفنن (النص و العنوان) بالأساس " علاقة ءءلفة؁ إذ بءون النص فكون العنوان وءه عاجزا عن ءكون مءفطه الءالف؁ و بءون العنوان فكون النص باسءمرار عرضة للءوبان فف نصوص أخرى ¹. لءصء بءلك عملفة العنونة أكثر من هامة .

وعلفه فالعنوان أشبه ما فكون ببطاقة هؤفة (carte d'identité) و فف ءءفر من الأءبان فكون كاللوحاء الإشاءرفة الءاطفة و بءاصة ءفنما فكون مءرففا؁ إذ فصنع ءعافة ءببرة لهذا الإنءاء. فءء العنوان من بفن أهم عناصر المناص (النص الموازف) لهذا فإن تعرفه فطرح بعض الأسئلة؁ و فلف علفنا فف الءللفل؁ فءهاز العنونة كما عرفه عصر النهضة؁ أو ءبل ذلك العصر الكلاسلكف؁ كعنصر مهم كونه: مءموع معءد أءبانا أو مرءك؁ و هذا الءعففء لفس لءوله أو ءصره و لكن مرءة مءى ءءرفنا على الءللفه و ءأؤلفه.

ويعءبر " لؤف هؤفك " أء أكبر المؤسفن المعاصرفن للعنونفاء فف ءتابه: " سفمة العنوان " ²؁ الءف ءءء ففه الءهاز المفاه ففف للعنوان و معالمه الءلللفة؁ ءفء فرى بآن العناوفن الءف نستعملها الفوم لفسء هف العناوفن الءف اسءعملء فف الءقبة الكلاسلكفة؁ فءء أصبحت العناوفن موضوعا صناعفا (objet artificiel) لها وقع بالف فف ءلفف كل من القارئ و الءمهور و النقاء و هف ءءء طاولة ءعلفقاءهم ءصء القبض علفها و هذا ما فءءصص ففه

¹الظاهر روابنفة : الفضاء الروائف فف الءازفة و الءراؤفش لعءء الءمفء بن هءوقة؁ ءراسة فف المبنى و المعنى؁ 1991؁ ص

العنوانيون (titrologues) لتحليلهم لتلك الكتبة الخطية (grafique) أو الإقنوغرافية (iconographique) أي الطباعية المتواجدة إما على صفحة العنوان أو الغلاف .

فالعنوان عبارة عن كتلة مطبوعة على صفحة الغلاف الحاملة لمصاحبات أخرى مثل الكاتيون دار النشر¹ و المهم في هذا العنوان هو سؤال الكيفية أي كيف يمكننا قراءة نص قابل للتحليل و التأويل يناص بنصه الأصلي، و هذا ما ناقشه كل من " كلود دوشي " و " لوي هويك " كمختصين في هذا المجال بعد عرض رأيهما.

حيث يرى " لوي هويك " بأن العنوان هو مانسميه اليوم zadig أي العنوان الأصلي (1973) فكل ما يأتي في الجزء الأول قبل الفاصلة هو العنوان أما الذي بعده فهو العنوان الفرعي (sous titre).

و قبل أن نستتق عنوان الرواية يجدر بنا العودة إلى مصطلح " عنوان " و دراسته لغة و اصطلاحاً:

3-1- لغة :

ورد في لسان العرب مايلي: قال ابن سيدة : " العنوانُ، و العِنوانُ سمة الكتاب، و عَنُونُهُ عنوانَةٌ و عنوانًا و عَنَاهُ كلاهما و سمة بالعنوان " و قال أيضا: " و العُنُونُ سمة الكتاب و قد عَنَاهُ و أعناه ، و عنونتُ الكتاب و عَرُونتَهُ "، قال يعقوب: و سمعت من يقول أطع و أعن أي عنونته و اختمه ، قال ابن سيدة : " ففي جبهته عنوانٌ من كثرة السجود " أي أثر. ²

3-2- اصطلاحاً:

فهو لغوياً أقل من الجملة يمثل نصاً أو عملاً فنياً و يمكن النظر إلى العنوان من زاويتين:

¹ابن منصور: لسان العرب ، م 15 ص 106 .

²ابن منصور : لسان العرب، م15، ص 106.

أ- في سياق

ب- خارج السياق

و العنوان السياقي يكون وحده مع العمل على المستوى السيميائي و يملك وظيفة مرادفة للتأويل عامة¹.

يقول محمد مفتاح : " أن العنوان يمدنا بزداد ثمين لتفكيك النص و دراسته و نقول هنا أنه يقدم لنا معرفة كبرى لضبط انسجام النص وفهم ماغضض منه ، إذ هو المحور الذي يتولد و يتنامى و يعيد نسج نفسه ، وهو الذي يحدد هوية القصيدة ، فهو إن صحت المشابهة بمثابة الرأس للجسد و الأساس الذي يبنا عليه، غير أنه يمكن أن يكون طويلا يساعده على توقيع المضمون الذي يتلوه، وإما أن يكون قصيرا و حين إذن فلفه لابد من قرائن فوق لغوية، نحوي بما تنجبه " ²

و يعرفه لوي هويك أيضا : " بأنه مجموعة من العلاقات اللسانية من كلمات و جمل و حتى نصوص قد تظهر على رأس النص لتدل عليه ، و تعنيه ، و تشير إلى محتواه الكلي ولتجذب جمهوره المستهدف " ³.

و يعرفه كلود دوشي: " بأنه كرسالة سننيه في حالة تسويق ينتج عن انتقاء ملفوظ روائي بملفوظ إشهاري، و فيه أساسا تتقاطع الأدبية والاجتماعية ، انه يتكلم، يحكي الأثر الأدبي في عبارات الخطاب الاجتماعي. و لكن الخطاب الاجتماعي في عبارات روائية " ⁴.

و يقترح " دوشي " ثلاثة عناصر للعنوان:

1- العنوان الرئيسي (zadig)

2- العنوان الثانوي (second titre) وغالبا مانجده موسوما أو معلّما بأحد العناصر الطباعية، أو الإملائية ليذل على وجهته.

¹ سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة مطبوعات، المكتبة الجامعة، الدار البيضاء، المغرب 1984، ص 89.

² محمد مفتاح : دينامية النص، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1 : 1987 ص : 72.

³ عبد الحق بلعابد: عتبات، (جبرار جينات من النص إلى المناص) ص: 67 نقلا عن لوي هويك: سمة العنوان.

⁴ المرجع نفسه : ص 67 - 68.

3- العنوان الفرعي (sous titre) و هو عامة يأتي للتعريف بالجنس الكتابي للعمل (رواية ، قصة، تاريخ، ... الخ).

و هذا التقسيم قد اعتمده كذلك " هويك" في كتابه " عن العنوان " عكس ما كان يقول به في مقاله السابق (1973) .

4-مكان و وقت ظهور العنوان :

4-1- مكان ظهور العنوان (أين يتموضع العنوان):

الباحث في العصور السابقة لعصر النهضة أي قبل ظهور الطباعة لن يجد مكانا للعنوان أو اسم الكاتب لأن الكتب كانت في ذلك الوقت عبارة عن لفافات ورسائل مختومة يكون فيها العنوان عبارة عن ملصقة تلتصق بهذه اللفافة، فكان العنوان يعرف إما من بداية النص أو من نهايته¹.

و لم تظهر صفحة العنوان (page de titre) إلا في السنوات بين (1475-1480) و بقيت لمدة طويلة حتى تطورت صناعة الكتاب، ليظهر الغلاف المطبوع، و بهذا يمكننا تحديد مكان ظهور العنوان و باقي المؤشرات الطباعية في صفحة العنوان وهي تردف العنوان الجاري (titre de court) لينشأ العنوان الآن بخروجه من طابع هـ / مكانه النص (textuel) إلى

¹ عبد الحق بلعابد : عتبات، ص: 68.

مكانه المناصي الذي يعد اليوم مكانه الخاص أما الأمكنة التي يتموضع فيها العنوان وفقا للنظام الطباعي المعمول به فهي أربعة أماكن¹.

1- الصفحة الأولى للغلاف.

2- في ظهر الغلاف.

3- في صفحة العنوان.

4- في الصفحة المزيفة للعنوان (وهي الصفحة البيضاء التي تحمل العنوان فقط و ربما لا نجدها في بعض السلاسل الطباعية).

أما الكتب المجلدة فنجد العنوان متموضعا في صفحة الغلاف، ولكن لأسباب فنية و مكتبية غالبا ما يتواجد في ظهر الكتاب.

4-2- وقت ظهور العنوان (متى يظهر العنوان ؟):

يطرح " جينيت " مشكلا بخصوص العناوين ، وهي تتشكل في ذهن الكاتب . فهل بإمكاننا القبض على تلك الترادفات التي كانت تحيط بالكاتب وهو يقوم باختيار عناوينه ؟ . و هذا ما يعرف ب ما قبل النص / النص القبلي، بتعبير " بيرنار نوال " باعتبار العنوان نص، أو بالأحرى ما قبل المناص / المناص القبلي، لما ذهب إليه " دوشي ".

كما نجد من يضع العنوان قبل نص الكاتب ثم يأتي بالنص ليبرر هذا العنوان، الذي يحمل ما سيفصله و يفسره النص ككل.

فالعنوان عقد شعري بين الكاتب و الكتابة من جهة و عقد قرائي بينه وبين جمهوره و قرائه من جهة أخرى ، و عقد تجاري/ إشهاري

¹المرجع نفسه : ص: 61.

5- وظائف العنوان :

تعد وظائف العنوان من المباحث المعقدة للمناس، لدى إتجه بعض الدارسين إلى تحليله متخذين من الوظائف اللغوية التواصلية لـ " ياكبسون " سبيل للمقارنة، ليفتح الباب بعد ذلك واسعا أمام السيميائيين للبحث في هذه الوظائف على تعقيدها و اختلافها و جهات مقاربتها .

و هذا ما لاحظته " جنيت " في التعميمات النظرية التي طالت هذه الوظائف¹.

كما وجدها عند كل من " لوي هويك " و " شارل غريغل " الذي حددها في:

أ- تسمية النص / الكتاب

ب- تعيين مضمونه

ج - وضعه في القيمة أو الاعتبار .

¹ عبد الحق بلعابد : عتبات ، ص: 74، نقلا عن جيرار جينات، عتبات :ص80.

أما تحديدات " لوي هويك " فنجدها مجملة في تعريفه السابق للعنوان من حيث هو مجموعة من العلامات اللسانية التي تظهر على رأس نص ما، قصد تعيينه و تحديد مضمونه الشامل، وكذلك جذب جمهوره المستهدف¹.

و قد حدد " جيرار جينيت " هذه الوظائف فيما يلي :

1-5 - الوظيفة التعيينية :

و هي الوظيفة التي تعين اسم الكاتب، و تعرف به للقارئ بكل دقة و بقل ما يمكن من احتمالات اللبس، و يستعمل بعض المشتغلين على العنوان تسميات أخرى ذكرها " جوزيب بيزا كامبروبي " بقوله: ف " قريفل " يستخدم الوظيفة الاستدعائية (f.Appellative) و " ميتيرون " يستخدم الوظيفة التسمية (f.Distimative) أما " فولدنشتاين " فيستعمل الوظيفة التمييزية (f.Distinctive)، و يستعمل "كانتورويسكس" الوظيفة المرجعية (f.Referencielle)².

إلا أنها تبقى الوظيفة التعيينية و التعريفية فهي الوظيفة الوحيدة الإلزامية والضرورية، إلا أنها لا تنفصل عن باقي الوظائف الدائمة الحضور و المحيطة بالمعنى³.

2-5 - الوظيفة الإيحائية:

و هي أشد ارتباطا بالوظيفة الوصفية، أراد الكاتب هذا أم لم يرد، فلا يستطيع التخلي عنها، فهي ككل ملفوظ لها طريقتهما في الوجود لنقل أسلوبها الخاص، إلا أنها ليست دائما قصدية، لهذا لا يمكننا الحديث عن وظيفة إيحائية و إنما عن قيمة إيحائية، لهذا دمجها " جيرار جينات " في بادئ الأمر مع الوظيفة الوصفية ثم فصلها عنها لارتباكها الوظيفي.

3-5 - الوظيفة الوصفية:

¹المرجع نفسه.

²المرجع نفسه، ص: 86، نقلا عن جيرار جينات عتبات، ص 97.

³المرجع نفسه، ص: 86.

و هي الوظيفة التي يقول العنوان عن طريقها شيء عن النص، وهي الوظيفة المسؤولة عن الانتقادات الموجهة للعنوان¹، وهي نفسها الوظيفة (الموضوعاتية، الخبرية، المختلطة)، كما ضمّنها " جينيت " من قبل في الوظيفة الإيحائية، غير أنه لابد أن يراعي في تحديدها الوجهة الاختيارية للمرسل (المعنون)، أو الملاحظات التي يأتي بها ه ذا الوصف الحتمي، وأمام التأويلات المقدمة من المرسل إليه (المعنون له) يحاضر دائما كفرضية لمحفزات المرسل أو الكاتب عامة، و هذه الوظيفة لا غنى عنها لهذا عدها " إمبيرتوايكو " كمفتاح لتأويل العنوان²، و لقد كثرت تسمياتها هي الأخرى، فيسميها " غولدنشتاين " الوظيفة التخليصية و "ميهايله " بالوظيفة الدلالية، أما " كونتروويس " فيسميها بالوظيفة اللغوية الوصفية، وهي التسمية التي يرها " جوزيب بيزا " تعبر بأمانة عن هذه الوظيفة مناقشا في ذلك الأطروحات المتداخلة التي قدمها " جينيت "³، غير أن هذا الأخير كان مدركا لهذه الصعوبة و التعقيد الذي يكشف وظائف العنوان كما رأينا سابقا.

5-4- الوظيفة الإغرائية :

يكون العنوان مناسباً لما يغري القارئ الافتراضي، و ينجح لما يناسب نصه محدثاً بذلك تشويقاً وانتظاراً لدى القارئ كما يقول " ديريدا " ⁴، غير أن " جينيت " يرى بأن هذه الوظيفة مشكوك في نجاعتها عن باقي الوظائف و هي في حضورها و غيابها تستغل بأفضليتها عن الوظيفة الثالثة دون الثانية ففي حضورها يمكنها أن تظهر إيجابيتها أو سلبياتها أو حتى عدميتها بحسب مستقبلها الذين لا تتطابق قناعتهم وأفكارهم دائماً مع أفكار (المرسل / المعنون) الذي يرى المرسل إليه (المعنون له) حملهم عليه، لهذا يطرح " جينيت " هذا التساؤل المحفز على

¹ عبد الحق بلعابد: عتبات، ص: 87. نقلا عن جيرار جينيت: عتبات ص97.

² المرجع نفسه، ص: 87 .

³ عبد الحق بلعابد: عتبات، ص:87، نقلا عن " جوسيب بييسة كامبراي " وظائف العنوان.

⁴ المرجع نفسه، ص: 87 .

الشكّية، أكون العنوان سمسارا للكتاب، و لا يكون سمسارا لنفسه ؟¹ ، فلا بد من إعادة النظر في هذا التمادي الإستلابي وراء لعبة الإغراء الذي سيبعدنا عن مراد العنوان، و سيضر بنصه.

ليرد " جون بارث " على أولئك الذين يلهتون وراء العناوين الرنانة و المسجوعة دون وعي بجماليتها و التي تكون في الأغلب بلا معنى " فأن يكون الكتاب أغرى من عنوانه أحسن أن يكون العنوان أغرى من كتابه " ² و هذا لكي لا نسوق القراء لعماء لا مرئي و نبقى على ذلك الميثاق الأخلاقي للقراءة. لأن المناص برأي " جينيت " رباط ككل الأريطة قابل للتغيير و لهذا ينصح الكتاب على أن يبتعدوا عن التأنق المفضوح في عناوينهم على حساب معنى النص و مضمونه قصد تحقيق أكبر المبيعات، فالقارئ لم يعد مغفلا كما كان .

دلائل العناوين

¹ عبد الحق بلعابد : عتبات ص: 87.

² المرجع السابق.

1- دلالات الذاكرة

1-1- المستوى اللغوي

1-2- المستوى الدلالي

2- دلالات الماء

- دلالات الذاكرة:

1-1- المستوى اللُّغوي:

إن معنى كلمة ذاكرة في المعجم هو قولهم: " ذكر الشيء يذكره وذكر وتنكارا: حفظه في ذهنه... وأذكرت المرأة: ولدت ذكرا فهي مذكر... والذاكرة قوة في الدماغ تذكر ما تدركه القوة الوهمية من المعاني وتحفظها... والمذكر التي تلد الذكور: من الأيام الشديد الصعب " ¹.

والذاكرة: " قدرة النفس على الإحتفاظ بالتجارب السابقة واستعادتها " ¹.

¹ بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، ط ج، 1987، ص: 309.

1-2- المستوى الدلالي:

وإذا أردنا أن نقرأ عنوان الرواية " ذاكرة الماء " قراءة سطحية فإننا سرعان مانحكم عليه بأنه جمع بين أمرين متعارضين، حيث أن الذاكرة والماء يكونان علاقة غير ممكنة ظاهرياً، فستان بين المحسوس والملموس، الثابت والمتغير.

أما إذا حاولنا الربط بين الذاكرة والماء في مستوى دلالي واحد، فإننا نجد أن دلالة الأثر تحتويهما، ذلك أن انسياب الماء يترك رواسب وآثار، وكذلك الذاكرة عبارة عن آثار يخلفها الواقع والأحداث. يقول " واسيني الأعرج ": " وها أنذا بعد هذا الزمن الذي لا يساوي الشيء الكثير، أمام الذين فقدوا أرواحهم أخرج للنور مثقلاً برماد الذاكرة، أمشي على الملوحة والماء، وفاءً لهذا الماء وتلك الذاكرة"².

وقد جاءت دلالة الذاكرة في الرواية متعددة من مستوى إلى آخر، حيث تختلف ما بين الذاكرة الفردية، والذاكرة الجماعية وحتى الذاكرة التاريخية.

فعلى مستوى التجربة الشخصية للروائي نجده من بداية الرواية يقول: " وهل للماء ذاكرة؟ هي ذاكرتي أو بعض منها".³ وهذا دلالة على أن الروائي عاش هذا الواقع وسائر الأحداث بمختلف تفاصيلها، فجاءت الرواية على شكل سيرة ذاتية لشخصه، كما تقول المقولة الشهيرة: " كل رواية هي عبارة عن سيرة ذاتية وحوليات اجتماعية ".

أما على مستوى التجربة الجماعية فنجدها في قوله: " ذاكرة جيلي الذي ينقرض الآن داخل البشاعة، والسرعة المذهلة، والصمت المطبق، ذنبه الوحيد أنه تعلم وتيقن أن لا بديل عن النور سوى النور، في زمن قاتم نزلت ظلمته على الصدور، لتستأصل الذاكرة قبل أن تطمس

¹ أحمد فنشوية: محاضرات الملتقى الوطني الثاني " السيمياء والنص الأدبي " دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، ص: 84، نقلا عن مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط، ج1، مطابع الأوغن، ط3، 1985، ص: 325.

² واسيني الأعرج: " ذاكرة الماء"، ص: 09.

³ واسيني الأعرج: " ذاكرة الماء"، ص: 07.

العيون " ¹ وهذا انعكاس لما عانتها الجزائر أيام المحنة، حيث عبّر عنها الروائي بضمير الجمع، نظرًا لعمق الجرح الذي بداخله، كيف لا وهو المثقف الناطق باسم شعبه ووطنه.

كما أنه هناك مستوى الوعي بالتاريخ، فالرواية العربية الجزائرية قد عالجت الواقع الاجتماعي - وهذا منذ نشأتها- فراحت تحكي ماضيه وحاضره، متطلعة تارة إلى مستقبله، ترصد تحولاته وتحلل أزماته، وبدأ هذا من مرحلة ما بعد الإستقلال مروراً بالمرحلة الإشتراكية في السبعينيات، إلى مرحلة التسعينيات (العشرية السوداء).

ونظرًا للمحنة التي مرّت بها الجزائر، فإن معظم أبنائها من الجيل الروائي اتجهوا نحو السرود الإستهلاكية، في حين أن أصل الرواية هي الكتابة الفنية، إلا أن "واسيني الأعرج" استطاع بفضل تجربته أن يوفّق بين الإثنين، إذ انعطف هذا الروائي يحكي واقع الجزائر منذ الثمانينات يبيث محنته وتعثراته دون أن يهمل الجانب الفني، ولهذا جاءت أعماله مجددة في أسلوبها ولغتها. إذ تولّدت ذاكرة المحنة من ذاكرة شعب بأكمله، عمل جاهدا لتسجيلها. يقول: " داخل هذه الرحلة، رحلة القساوة الممتدة من 1993 إلى 1995، وأنا أكتب هذا النص فوجئت بميراث الكتابة التراجيدي، جنون يقارب الإنتحار، مرض العيون والذاكرة، تساقط الشعر والخوف، خسران البيت، والأرض، والبلاد، والسارية والمنفى، معاودة الحياة من الصفر في سن الأربعين، والتهام كم لا يعد من الورق والأقلام ... والحبر... وكثيرا من الخوف الذي لا يشبه الخوف " ².

ولقد واصل الروائي حديثه على أن الذاكرة الذاتية هي ذاكرة وطن بأسره، وأن الماء مصدر حياته بقوله: " في يوم واحد من الرابعة صباحا حتى السادسة مساءً، وعلى مدار زمن حلزوني، لا شبيه له إلا الجنون العاري، ينحت هذا النص زمن المحنة الذي جعل من القتل فجأة سادة المدينة" ³.

¹المصدر نفسه، ص: 07-08.

²- واسيني الأعرج، " ذاكرة الماء"، ص: 08.

³- المصدر نفسه، ظهر الغلاف.

وقد تضمنت إشارات أخرى لاستعمال لفظة "ذاكرة" في الرواية باعتبارها تاريخ حي من المصائر العامة المهددة " بين زمن كان يذهب آخر كان يولد داخل القساوة، كنت أتقاتل من أجل البقاء بصعوبة، أتقاتل من أجل أن أكون في هذا المدار الذي لم يكن لي مطلقاً، بينما كان الناس يتناقشون من أجل شيء غامض هم أنفسهم لم يكونوا قادرين عن معرفته " ¹.

كما أنها تصور ذاكرة معاناة رجل مثقف عاش عداوة الإرهاب المسلح، حيث يقول: "عندما أقرأ هذا الخراب، أطمئن لنفسي وأحزان لهذا الوطن. يزداد يقيني أكثر بأنني لست بكل تلك الخطورة التي يتصورها الذين يريدون قتلي، مجرد كائن بشري ضائع داخل قفر اسمه المدينة، هم حتماً مخطئون إذ يعتبروني بكل هذه الخطورة " ².

كما تُعتبر الذاكرة تفصيلاً للتاريخ البعيد والقريب للسلطة بجميع صورها: العسكرية والسياسية والأمنية. لأن زمن الإرهاب لا يقبل سوى بالموت وتجريد الحياة من معانيها الإيجابية وفي مقدمتهم الطبقة المثقفة. وهذا ما يتبين جلياً في الفصل الأخير من الرواية حيث اختلط همُّ الإرهاب بالواقع وأصبح حقيقة مرعبة من المستحيل التخلص منها. " استيقظ في ساعة متأخرة جداً من الليل. ازحف نحو الباب والنوافذ في الظلمة حتى لا أوقد ريمة وفاطمة، وأتحسس الأقفال ثم أعود من جديد أدخل فراشي استرق السمع إلى الأصوات التي تأتي من كل الجهات ثم شيئاً فشيئاً أنام عليها لأجد نفسي في عمق كابوس بدون ألوان، كابوس ليس كالحلم واضح الوجوه والتفاصيل، أراهم من فوقي من الطابق الخامس وهم يطعنون رجلاً يشبهني، أنا مكثف كالخروف، وهم سبعة يتناوبون بمقترحاتهم، أتمنى أن يكون واحد منهم إنساناً ويرحمني برصاصة ولكنهم يتنافسون على أكثر طرائق الذبح ضرراً بالمنجل، بالسكين، بالسيف، بالفأس، بالشاقور، بالبوسعادي، أو بقضيب حديد البناء الذي حول لكثلة تشبه الحرية ؟ أقوم مذعوراً أغسل وجهي انتظر الصباح لأدخل نحو

¹- المصدر نفسه، ص: 46.

²- واسيني الأعرج، " ذاكرة الماء"، ص: 76.

موت آخر"¹. وتعتبر الذاكرة بمثابة سرد لمعاناة مثقف جزائري في ظل الفساد الذي مارسه أعداء الحياة والوطن.

2- دلالة الماء:

2-1- المستوى اللغوي:

يقول "ابن منظور" "... والنسبة إلى الماء ماهي. الكسائي: ويئر ماهة وميهة أي كثيرة الماء لصفائها حتى كأن الماء فيها، منسوبة إلى ذلك، والجمع ماوي" ، قال:

ترى في سنا الماوي بالعصر والضحى *** على غفلات الزين والمتجمل

¹-المصدر نفسه، ص: 380-381.

-والماوي البقرة لبياضها.

وماهت الرّكبيّة، تَمَاهُ وَتَمُوهُ وَتَمِيَهُ، مَوْهَا وَمِيَهَا وَمُؤْوَهَا وَمَاهَا وميهة فهي ميهة وماهة: ظهر ماؤها وكثُر¹.

2-2- المستوى الإصطلاحي:

الماء جمع مياه، سائل لا لون له ولا رائحة، شفاف في نقائه، لا طعم له كالماء العذب أو مالح كماء البحر، وهو نتيجة تآلف حجمي يتم بين الأكسجين والهيدروجين بنسبة 1 إلى 2، ثقله النوعي ووزنه الذري 18، يجمد عند بلوغه درجة الصفر وما دونها ويغلي عند بلوغ نحو 100 سغ في الضغط الجوي العادي: " ماء صافي "، " ماء عذب "².

3- مميزات الغلاف الخارجي "ذاكرة الماء":

قبل حديثنا عن مميزات الغلاف، يجدر بنا الإشارة إلى أنه من تصميم الكاتب، حيث أنه يمثل بابًا من أبواب تلمسان القديمة³.

¹ ابن منظور: لسان العرب، باب الميم، ص: 218.

² أنطوان نعمة، عصام مدور، لويس عجيل، متري شماس، " المنجد في اللغة العربية المعاصرة" دار المشرق بيروت، ط1، 2001، ص: 1368.

³ إلهام علول: الفضاء النصي في رواية ذاكرة الماء، ضمن أعمال الملتقى الأدبي الوطني الخامس، عبد الحميد بن هدوقة، ص: 292.

فهي إشارة بالغة الأهمية في التحليل كما يؤكد المؤلف. إن الغلاف جزء لا يتجزأ من الرواية ككل، وبهذا تصبح قراءته ضرورية في دراستنا.

ولعل أول ما يشد اهتمام القارئ - للوهلة الأولى - في الغلاف الخارجي للرواية هو صورة الباب، وكذلك تلك التشكيلات لاسم المؤلف والعنوان. حيث يقف الباب في وجه المتلقي منذ البداية متحدية تارة، ومغريا تارة أخرى، ولعل المؤلف كان يقصد من ورائه ضرورة فتح هذا الباب والولوج إلى عالم الرواية، وبخاصة أنه كتب تحت العنوان الرئيس مباشرة: " محنة الجنون العاري " وهذا ما يزيد من شوق القارئ وتلهفه لاكتشاف أسرارها، والتطلع إلى حقائقها الخفية.

وبما أن موضوع بحثنا " سيميائية العنوان " فإنه يتوجب علينا التفصيل في عناوين الرواية بدءاً من العنوان الرئيسي على واجهة الصفحة الأولى للرواية، وإلى غاية العناوين الفرعية داخل المتن. فنلاحظ للوهلة الأولى اسم الشخص الذي يعرض على المتلقي هذه المعرفة "واسيني الأعرج"، وبعد العنوان الرئيسي " ذاكرة الماء "، والذي كتب بشكل أكبر من الإسم الأول فيدرك القارئ أنه أمام ذاكرة تفوق ذاكرة الكاتب.

4- دلالات الألوان:

ولما كانت دراسة سيميائية فلا بد من التطرق إلى الألوان التي ميزت الواجهة الأمامية للرواية. فالألوان لها دلالات رمزية وإيحائية، ولها علاقة متينة بالإنسان والطبيعة، فهي تحيط بنا من كل جهة في حياتنا اليومية، بل ومنذ أن فتحنا أعيننا على الحياة، ولذلك نجد لها استخدامات مختلفة سواء في كلامنا أو لباسنا أو فراشنا... ونعمد إلى تغييرها بحسب الفصول والمناسبات. يقول أحد المنظرين المهتمين بالألوان: " إن العقل البشري يُفسّر الألوان باعتبارها تشتمل على

سبعة ظلال رئيسية هي: الأحمر، الأصفر، الأخضر، الأزرق، الأبيض، الأسود، البنفسجي، ويعتقد علماء النفس أن الألوان تؤثر في الإنسان بشكل مباشر¹.

كما أن اللون الواحد قد تكون له أكثر من دلالة، وقد تكون له دلالات رمزية متعارضة كدلالة الموت والحياة في الوقت نفسه. فرمزية الألوان تشير في عمومها إلى التعدد والتنوع والتجلي والخفاء، في حين نجد البعض يرجع دلالة الألوان إلى الذوق الشخصي للأفراد، والمرتبط بذكرياته وأحداثه ومواقفه الخاصة في الحياة، فلا يمكن لهذه الدلالات أن يتفق حولها جميع الناس، أو تكون قاعدة ثابتة مسلم بها.

ويُعدُّ اللون من العناصر الأساسية في الكون، فهو من المدركات البصرية، والتي لها اتصال مباشر بالنفس البشرية ومختلف شؤون حياتها. فالإنسان عرف اللون منذ القديم، فقد رأى زرقة السماء ولمعان نجومها، واخضرار الأرض وتلون أزهارها، فأعجب بالألوان وفتنتها واستخدامها في شتى مجالات حياته، فارتبطت بمشاعره وأحاسيسه، وأضحت ذات أبعاد نفسية ودينية واجتماعية وسياسية. فالألوان سحر الوجود، تشكل فيما بينها انسجاماً له دلالات معينة. إنها مثل اللغة تحمل ألفاظها معنى خاصاً في مجاميعها.

أما بالنسبة للألوان التي تظهر على غلاف "ذاكرة الماء" هي:

- الأحمر: ويلوّن الخط الموجود تحت اسم المؤلف، ويلوّن العنوان الرئيسي "ذاكرة الماء".

- أحمر أجوري: ويلون الأرضية وأجزاء من حائط الباب.

- الأزرق: ويلون إطار الباب.

- البني: ويلون ظلال إطار الباب، كما يلون الأواني الفخارية، وجذور شجرة العنب.

¹أسعد علي: مسرح الجمال والحب والفن في صميم الإنسان، دار الرائد، بيروت، لبنان، ط3، 1981، ص: 84-85.

-الأبيض: ويحتل مساحة كبيرة من الغلاف، كما يلون الخط في الأسفل. وإذا أردنا التفصيل في دلالات الألوان، فإنها تكون على النحو الآتي:

يوحي اللون الأحمر - والذي يحيط باسم دار النشر - بالموانع التي تريد دار النشر أن تكسرها من أجل تشجيع الكتابات، كما يلون الخط الموجود تحت اسم (واسيني الأعرج) تأكيداً لاشتراكه في ذاكرة الوطن إنه يعيش تفاصيل ذاكرة تحمل في أعماقها الألم، لأنه عاجز عن الحياة، وهذا ما يفسره اللون الأسود الذي كُتِبَ به اسمه. فالكتابة عنده تتحدى طقوساً كثيرة من الموت.

كما نصادف اللون الأحمر الآجوري: الذي يعمق لدينا الإحساس بالفجيعة، لأنه يشبه لون الدم المتخثر والذي يقترن بالأرض، أرض الجزائر التي ارتوت بالدماء منذ دخول الاستعمار إلى الاستقلال. أما اللون الأزرق فإنه يوحي لنا بالامتداد واللانهاية، وهو يمثل الثقة والبراءة والشباب، كما يوحي بالبحر الهادئ¹، كما أنه يعين على المواجهة الفكرية²، وهو إذا يلون الإطار الموجود على الباب، فهو يمهده بعداً لا نهائياً، ويجبرنا على مواجهة فكرية مع هذه الرواية فتصبح قراءتها إبحاراً عبر فضاء ممتد في زمن ممتد هو الذاكرة، فتراود القارئ رغبة في ملامسة الماء ومعرفة الذاكرة التي تتيحها الرواية. التي بدورها تكتسي مع هذا اللون صفة المطلق والتحدي والحياة. أما اللونين الأخضر المصفر والبنّي الموجودان خلف الباب يعطيان طابعاً خاصاً يغوص في عمق الذاكرة، يدل على الأهمية الموضوعية للجذور، والأرض والوطن، والشركة من النوع الخاص أو الأسر³، لكن هذه الجذور ذاتها محاطة بالأصفر المخضر الذي يعتبر من أكثر الألوان كراهية، وهو بدرجاته المتعددة يرتبط بالمرض، والسقم، والجبن، والغدر، والبذاءة، والخيانة⁴.

¹أحمد مختار عمر : اللغة واللون ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط2 ، 1997 ، ص : 183

²شاعر عبد الحميد : التفضيل الجمالي ، عالم المعرفة ، ع 267 ، مارس ، 2001 ، الكويت ، ص : 272

³أحمد المختار عمر ، اللغة واللون، ص : 184 .

⁴المرجع نفسه، ص : 184 .

أما الأبيض الذي يحتل مساحة كبيرة من الغلاف، فهو يوحي بأن الأمل أكبر من أن يقتله الرصاص. إنه البياض الذي يدعو إلى الأمل، والسلام، والأمن، والإستقرار. إنه اللون الذي يدل على الروح الإيجابية¹.

إن هذا الغلاف بكتله المميزة وألوانه الممزوجة بين الحزن والأمل الداعي إلى الغوص في أعماق الذاكرة، ذاكرة رجل يحمل في جوفه مدينة تحلم بغد أفضل، رغم جميع الصعاب، والفواجع التي تلم بها.

5- قراءة في العناوين الفرعية لـ " ذاكرة الماء " :

إن العناوين ذات الطابع السيميائي الدلالي والرمزي في آن واحد تشوق المتلقي بتتبعها وفك شفراتها، لذلك فإن البحث السيميائي يدرس العناوين ويوليها عناية كبيرة.

¹شاكر عبد الحميد: التفصيل الجمالي ، ص 272 .

هذه السيميائية في الأدب تعد ممولا هاما للإقتصاد اللغوي، كما أنه أول ما يلاحظه ويتعامل معه المتلقي لذلك فإن للعنوان مستويين هما:

المستوى الأول: وينظر إلى العنوان كبنية مستقلة لها دلالتها الخاصة.

المستوى الثاني: وفيه تمتد دلالة العنوان إلى العمل، ومرتبطة مع دلالية دافعة ومبرزة لإنتاجيتها الخاصة بها¹.

والعنوان باعتباره دلالة، فهو قبل ذلك رمز أو إشارة للتواصل، له وجود مادي، وهو ذلك اللقاء المادي المحسوس الذي يتم بين المرسل والمتلقي، ويعد كذلك عتبة النص الأول، ومفتاحا أساسيا للتأويل، فهو محور النص الذي يدور حول الدلالات وهو بمثابة الرأس من الجسد، فهو يفتح الشهية للمتلقي (القارئ) كما يرى " رولان بارت " ² ، حيث يشير إلى مقاصد يريد المبدع توجيه المتلقي إليها، " إن العنوان نص سابق يبسط ظلاله ويحدد هويته " ³ . ومن جهة أخرى فإن متن الرواية يظل يشير إلى النص الأول - نص العنوان - وبذلك تقوم علاقة جدلية متبادلة بين النصين: نص العنوان، ونص المتن. فيشرع في ممارسة فعاليته في النص الثاني. وتحديد مقاصد تمنح النص أكبر قيمة دلالية.

العنوان يمثل العتبة الأولى التي تواجه المؤول الذي تقع عليه مسؤولية تأويله والنظر

إليها في علاقتها البنيوية بالنص عبر تفاعل قائم على التأثير والتأثر. فالعنوان يضع القارئ أمام عديد من التأويلات ولكن المتن يوضح تلك التأويلات ويؤثر فيها.

¹سامح الرواشدة : منزل الحكاية ، دراسة في الرواية العربية ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ن ط1 : 2006 ، ص 134 .

²ابن حميد رضا ، الخطاب الشعري الحديث من اللغوي إلى الشكل البصري ، مجلة نوصول ، مج 51 ، ع2 صيف 1996 ، ص : 100 .

³المرجع نفسه ، ص : 100

لقد نظر النقد الحديث إلى العنوان نظرة جدية، فقد رأوا بأنه يخلق نصا، باقترانه مع المتن¹. ذلك أن العناوين تمثل " رسائل مسكوكة مضمنة بعلامات كبيرة، مشبعة برؤية للعالم، يغلب عليها الطابع الإيحائي"²

أما "جيرار جينيت" فقد اهتم بالعنوان وأولاه عناية كبيرة وجعله نصا موازيا ينضوي تحت النص الأكبر، وقد رأى أنه " **النص الموازي**"، وهو ما يصنع للنص من نفسه كتابا، وقد حدده "جينيت" بالمفردات التالية : العنوان الأساسي، العنوان الفرعي، العناوين الداخلية والمقدمات والملاحظات، الذبول، التبيهات، التوطئة، التقديم، الإهداءات، وتحت الصفحة والنهايات³. وقد حدد له أربع وظائف هي: الإغراء، الإيحاء، الوصف والتعيين⁴.

فهو بمثابة علامة بصرية تواجه المتلقي. وتمارس فعاليتها وتأثيرها عليه وتوجيه فهمه لأنه "الجملة الأولى التي تواجه القارئ والسواد الأول الذي يقلص مساحة البياض فوق النص"⁵. وحتى لا نبتعد كثيرا في الإطار النظري عن القضية الأساسية، لا بد من الوقوف على العتبة الأولى في هذه الرواية أو ما سماها "جينيت" بالنص الموازي يبرز لقارئ رواية " ذاكرة الماء " أربعة عناوين:

- العنوان الرئيسي: "ذاكرة الماء".
- العنوان الفرعي: محنة الجنون العاري.
- عنوان القسم الأول: الوردة والسيف.
- عنوان القسم الثاني: الخطوة والأصوات.

¹ روبرت شولز ، اللغة والخطاب الأدبي ،ترجمة : سعيد الغنمي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 : 1993،ص93.

²المرجع نفسه ، ص 105 .

³ جميل حمداوي : السميوطيقا والعنوان مجلة عالم الفكر، مج25 ، ع3 ، 1997 ، ص:105.

⁴المرجع نفسه ،ص : 106 .

⁵سامح الرواشد : نقيات التكبل البصري في الشعر العربي المعاصر مؤتة للبحوث و الدراسات مج 12 ، ع2 1997 ، ص:506

أما هذا التعدد فيظهر لنا مشكلة تتمثل في بيان العلاقة الرابطة بين هذه العناوين.

5-1- العنوان الرئيسي: "ذاكرة الماء".

إن هذا العنوان الرئيسي في الرواية يشكل تقاطعا مع رواية " ذاكرة الجسد " فالعلاقة بين الماء والذاكرة علاقة حياة، باعتباره يمثل الحياة. إذن هي ذاكرة الحياة، ذاكرة الحاضر، أي أنه يعيد نفسه، ويدخل هذا طبعا ضمن فلسفة الزمن في الثقافة العربية الإسلامية، باعتبار أن الزمن يتطور

بشكل دائري متضمنا للأحداث وكأنها تعيد نفسها. ومن ذلك فإن " ذاكرة الماء " تجعل المتلقي من الوهلة الأولى يعيش التناقض والمقارنة الدلالية التي يحملها ذلك العنوان، ولكن السؤال المطروح هو: كيف يمكن الربط بين الماء كمادة فيزيائية وبين الذاكرة كوعي ثقافي؟

قد جاءت كلمة "ذاكرة" في العنوان معرفة بالإضافة " ذاكرة الماء " وكأنه تصريح بأن هذه الكلمة قد أفرغت من محتواها، فأصبحت تحمل معنا سلبيا، فذلك معنى إضافي يعطيها خصوصيتها في هذا العنوان ويبعدها عن الفهم السيئ، لذلك لا يمكن أن تأتي وحدها حتى ولو كانت معرفة ب"الـ" فهي لولا الإضافة لوردت عامة لا خاصة¹، وإن اختيار الإشارات اللغوية من استعمال الكاتب ينبع من عمق السياق المعرفي للمتلقي. فالعنوان مليء بالدلالات التي تنبثق منها طاقات هائلة من الشعور، فالذاكرة نقيض النسيان، ولكن الغريب أننا لم نألف للماء ذاكرة. هذه أوائل الدلالة الشعرية للعنوان وما يخلفه من انزياح أسلوبية أو مشكلة نحو الشعر². يمكن القول أن العنوان يلهمنا في بداية معناه أن الأيام المذكرة هي الشديدة الصعبة، ونسقطها على كلمة ذاكرة في العنوان، التي بدورها تحمل في الرواية تاريخا مؤلما بالنسبة للأستاذ الجامعي بطل الرواية والسارد لها. وما دامت الذاكرة بؤرة تلك الأحزان فإنه عليه إخراج الكبت وبهذا تتقاطع الذاكرة الألم في هذا العنوان مع دلالة كاتب الرواية التي تعرف كيف تخرج الألم، لكي يحس بالراحة والتنفيس عنها ولو قليلا. كذلك يتقاطع مفهوم الرواية مع الذاكرة في مفهومها المعجمي لأن هذه الأخيرة طبيعتها في الماضي والمتوسط والبعيد، وهنا يختلط زمن الخطاب في الرواية بهذا المنطق، فيصبح زمنا دائريا، وبذلك تصبح ذكريات يوجد فيها سردان: سابق ولاحق... وهذا يناسب الدلالة "ماء" الحيوية التي لا تفارقها أيا كان النمط الجمالي الذي ينتمي إليه التركيب اللغوي³. إضافة إلى العنوان الرئيسي يوجد عنوان فرعي آخر.

¹ محمد الهادي المطوي، شعرية عنوان كتاب: الساق على الساق فيما هو الفريق، مجلة عالم الفكر مج28، عدد1، يوليو 1999 المجلس الوطني للثقافة والفنون الكويت ص: 76 .

² بسام موسى قطوس ، سيمياء العنوان ، ص: 124 .

³ محمد فكري الجزار ، العنوان والسيميوطيقا الإتصال الأدبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1998 ص:90

2-5 العنوان الفرعي: محنة الجنون العاري:

انطلاقاً من مقارنة تركيب العناوين نجد

ذاكرة الماء = مضاف + مضاف إليه

الجنون العاري = مضاف + مضاف إليه + صفة

محنة

فالذاكرة المحنة/الجنون أما " العاري " فلا يقابلها في العنوان الرئيسي إلا الصفة، ربما لأن

السارد يريد إطلاق الماء لا تقييده ويمنحه الانسياب والجريان، وذلك من خلال الرواية التي تتداعى فيها المشاعر والحركات والمخاوف في حركية دائمة بين الماضي والمستقبل رغبة في رسم ملامح الماء الحياة من خلال الذاكرة.

وقد تصبح الذاكرة محنة بسبب انقطاع المادة عنها فكل شيء يتغير بشكل رهيب: المدينة الناس. يقول السارد: " كلهم ذهبوا ياريمة، انقرضوا مثل النباتات النادرة لم يتبق إلا أصداء أماكنهم وظلالهم المنكسرة، كل شيء اندثر، الدنيا لم تعد دنيا، والناس لم يعودوا ناس. والسوق لم تعد سوق واحنا مناش أحنا" ¹. فمحنة الذاكرة هنا تتمثل في زوال مقابلها المحسوس في الواقع، وفي نفس الوقت عدم قدرتها على الزوال حتى تصبح الذاكرة هي الحياة "الماء" تساوي الجنون نفسه.

كما أن لفظه محنة تحيلنا إلى فترة صعبة وأليمة، وهي فترة اختيار صعب كل ما فيه جنون. جنون لا تفسير له، لكنه مفضوح وعارم "جنون يقارب الانتحار، مرض العيون والذاكرة، تساقط الشعر والخوف، خسران البيت والأرض والبلاد والسرية والمنفى معاودة الحياة من الصفر في سن الأربعين. والتهام كم لا يعد من الورق والأقلام والحبر... وكثير من الخوف الذي لا يشبه الخوف"².

إن العلاقة بين هذه العناصر وبي ن التراكيبي يولد نوعان من الإنسجام على مستوى المعاني البسيطة للكلمات، فالعلاقة بين المحنة والجنون علاقة منطقية، أما عن الجنون وصفة العرى فالعلاقة بينهما مجازية يمكن تفسيرها على مستوى الدلالة. فالجنون صفة، والصفاتان تتطابقان على مستوى العقل، وهذا ما يجعل اللفظ يؤدي إلى دلالة، فكل ما يقع في الرواية لا يمكن للعقل تقبله³.

إن الانسجام بين العنوان الرئيسي والفرعي يولد لنا دلالة وفضاءً سيميائياً من خلال

¹ واسيني الأعرج ، ذاكرة الماء،ص: 143 .

²المصدر نفسه ، ص : 8 .

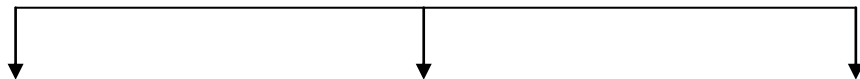
³إيناس عياط : الرواية و بيداغوجية القراءة، ضمن أعمال الملتقى الوطني الرابع ، عبد الحميد بن هدوقة ص:126 .

العلاقة القائمة بين " الذاكرة" و "الماء" و"المحنة" و "الجنون العاري" وهي علاقة افتراضية في الدلالة التوالدية، ويمكن الانحراف الدلالي في المكون (الذاكرة) يحتوي على المفهوم الدلالي (+إنسان) بينما المكون (الماء) يتضمن المفهوم (+شيء) و (الجنون) يتضمن المقوم (+مجرد) أما العاري يتضمن المقوم (+المحسوس).

والشكل الأتي يوضح ذلك :

العنوان الرئيسي : ذاكرة الماء

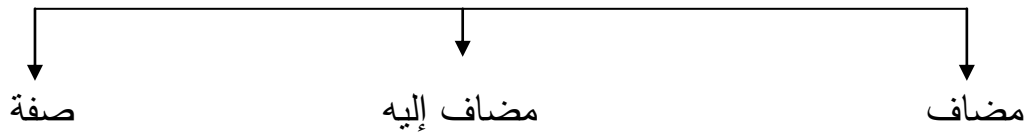
ركن إسمي



مضاف إليه	التعريف	مضاف
ماء	الـ	ذاكرة
اسم		اسم
+ حيوية		+ مجرد
+ مادية		+ احتفاظ بالماضي
+ ضروري		+ حياة
+ عام		+ ذاتي
+ بسيط		+ انفتاح
+ انسياب		+ تدفق

العنوان الفرعي : محنة الجنون العاري

ركن اسمي



محنة	ال	جنون	ال	عاري
اسم	تعريف	اسم	تعريف	صفة
+ شدة		- عقل		+ مجرد
+ أزمة		+ مجرد		+ أخلاقي
+ ملموس		+ فاضح		+ فاضح
- راحة		- اجتماعي		+ حقيقة
+ انغلاق				- اجتماعي

ومن خلال تحديد بعض المقومات الدلالية للعناوين، يمكن فهم العلاقة الرابطة بين الإسمين وكذا بين العنوانين.

فالسارد هنا يوضحها على أنها كتلة تمتد في التفتح على الماضي نحو الماء المتدفق

إلى الأمام، ليمنح الماضي بُعد المتجدد، ويتبع أفعاله في المستقبل الذي هو ناتج طبيعي له. فما يحدث في الجزائر ليس وليد الآن بل هو نتاج البنى المهترمة التي عملت منذ الإستقلال على سلب الشعب وسرقة كل ما يملكه.

3-5 العنوان الجزئي الأول: الوردة والسيف:

وضع الراوي "الوردة" لأنها كائن طبيعي جميل يرمز إلى الجمال والحب، كما أنه يدل على الربيع والحياة. أما السيف من صنع البشر فهو يرمز إلى القتل والدم، ورغم هذا الفرق فإن واو العطف جاءت للجمع بينهما، ووضعها مقابل بعضهما في علاقة صراع ضد الزمن.

فالورد المقابل للربيع يستقبل الزمن، أما السيف فهو انعدام له ومن هنا يتعمق الصراع. يقول الراوي: "أتمنى إن صادفني القتلة أن لا يجدوا شيء يأخذونه مني، أريد إفراغ قلبي قبل أن ينتهي على أيديهم أو على أيدي غيرهم ولهذا أتمنى أن أقول كل شيء في ظرف قصير¹. فهو يلح على أن من حقه أن يكون وردة مليئا بالحياة فإذا فاجأه الموت لم يجد ما يأخذه منه.

إن الصراع بين الموت والحياة هو صراع بين المرأة والرجل، فالوردة أنثى والسيف ذكر، فه و دلالة على حق المرأة، وانتزاع الرجل المتسلط منها للفرح والحلم.... وتؤكد مريم ممارستها الحق في الحياة حيث طلب والدها أن تحذر من القتلة فقال لها:

" يا مريم يا بنيتي خذي حذرك، القتلة في كل مكان.

- يا بابا، أنت قلت لي اللي يسكت على الشر شماتة، واني عندي إنسان نهار اللي يجي بين يديهم، خليهم يديروا واش يحبوا.

- معاك الحق، ولكن بنادم سيتحفظ على روحه على الأقل.

- عندما تقف أمام قاتلك الأحسن أن لا تصمت لأنه سيقنتك. علينا أن نواجهه بعينين صافيتين، نحن الآن نقف أمامه على الأقل نفضحه. الموت كايئة وتكون"².

لقد استطاع الراوي فتح ذاكرته من خلال الإصرار على الحياة، رغبة منه في أن تعيش

أكثر من بعده، وتنطق باسم حياته اذا يوما سلم جسده للقتلة.

والشكل التالي يبين لنا الدلالة التي تؤكد أن الموت حق وقدر، والحياة كذلك. ثم إن ثنائية

الوردة/ السيف تؤكد أن زمن الحياة لا يحسب بالأيام والشهور والسنين، ولا يتأثر بالخارج الذي لا يستطيع مصادرتة، إلا بالاستلام له ، وإنما يعيش المرء ولو كان ذلك للحظة فقط.

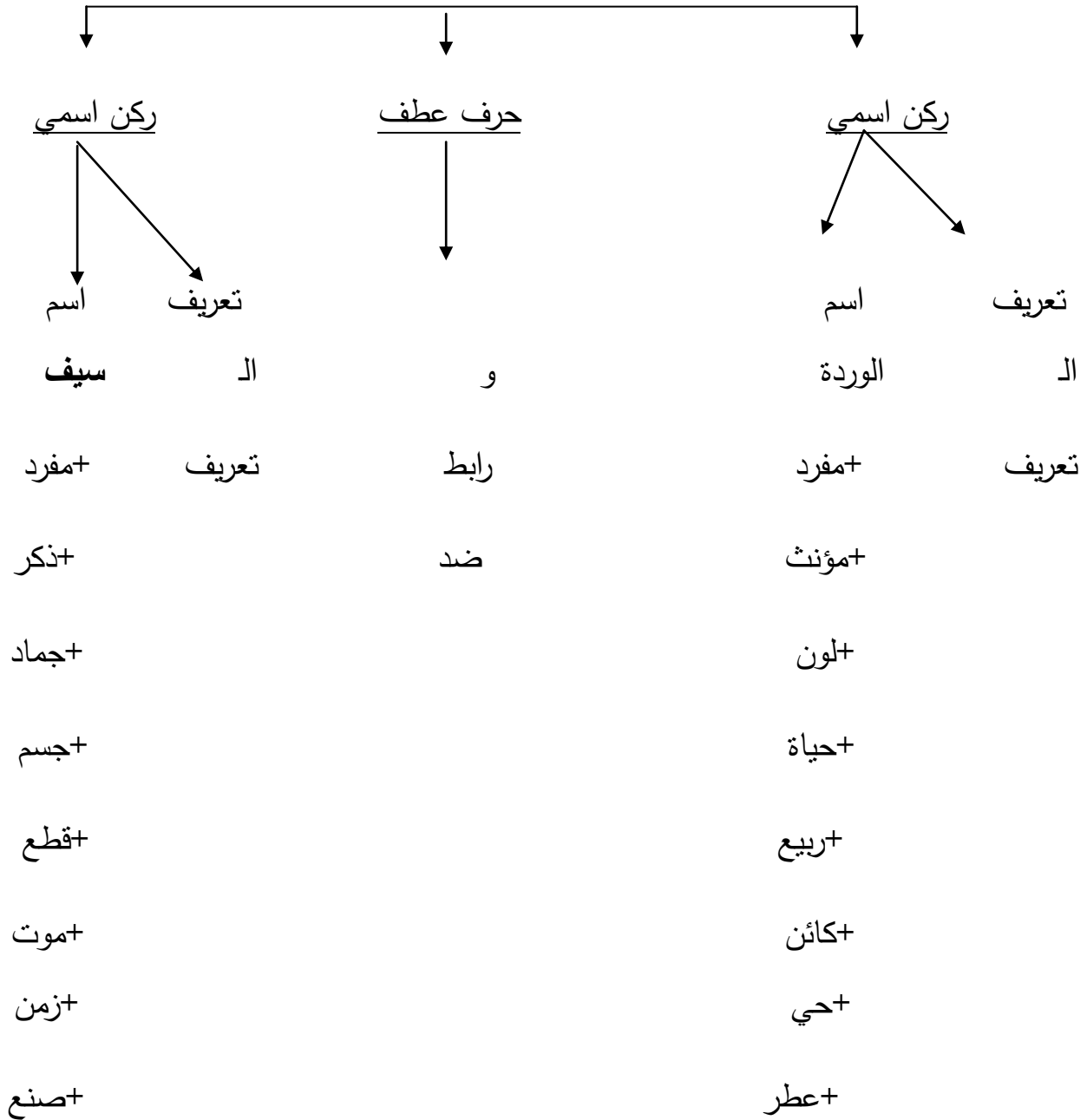
وبالتالي استطاع الروائي أن يفتح- من خلال هذا الإصرار- على الحياة والذاكرة رغبة في جعل ابنته تعيش بعده وتروي حياته، إذا سلم جسده للقتلة.

¹واسيني الأعرج ، ذاكرة الماء،ص:190 .

²واسيني الأعرج ، ذاكرة الماء،ص:206-207.

والشكل التالي يوضح المقومات الدلالية للعنوان:

العنوان الجزئي:الوردة والسيف



4-5 العنوان الجزئي الثاني: الخطوة والأصوات

إن الإصرار على الحياة تتجلى لنا في الجزء الثاني من الرواية، حيث يصر الراوي

على الخروج إلى الشارع الذي ينام فيه القتل المجاني، لينفذ برنامجه الأسبوعي في يوم واحد " كلما خطوات خطوة إلى الأمام تزداد المسافة بعدا، وتتحوّل إلى القيامة"¹. إن المسافة تتسع بين البيت والعودة، والفرصة في الحياة تتقلص والموت يحلق كما أن الأصوات تتزايد في داخل نفسية الراوي، فهي تؤنسه حيناً وتؤرقه حيناً آخر.

لكن الخطوة المفردة، تصميم على مواجهة الجمع ولغته الوحيدة التي لا تعرف إلا الصمت على الجرائم، لأن كل من يرفض يُقتل الواحد تلو الآخر، حتى تقتل أصواتهم وتختزل الأصوات المتبقية في لغة الخوف والجنون التي يريد القاتل طمسها، ولهذا يحاول الراوي أن يحولها إلى لغة جمع تتعدد بتعدد القراء.

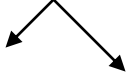
ومن هنا يصبح الجمع بين الخطوة والأصوات نفسه شكلا من أشكال مقاومة الوردة للسيف، وتصبح الرواية بذلك انفتاحا على حياة متجددة. رغبة في العيش رغم خطر السيف الذي يتهددها، وصداع الأصوات العنيفة داخل النفس وخارجها بين التحدي والخيبة؛ أي أن هذه العناوين جميعا تسهم في خلق دلالة موحدة للفضاء الذي حرك فيه الروائي القارئ معه. ولا تخرج في مجملها عن معنى الصراع بين الحياة والموت في جميع صورته ومظاهره.

والشكل التالي يوضح المقومات الدلالية للعنوان:

العنوان الجزئي الثاني: الخطوة والأصوات

¹ واسيني الأعرج ، ذاكرة الماء،ص:214 .

رکن اسمی



اسم

تعریف

أصوات

ال

+اسم

تعریف

+جمع

+مذکر

+قوة

+لغة

حرف عطف

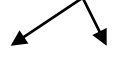


و

رابط

ضد

رکن اسمی



اسم

تعریف

خطوة

ال

اسم

تعریف

+مفرد

+مؤنث

+حركة

+حياة

+انتقال

خاتمة

وخلاصة بحثنا هذا، أننا كشفنا عن أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا، والتي

تتمثل في النقاط التالية:

— تعد السيميائية من الدراسات التي تولي اهتماما بالغا بثنائية الدال والمدلول، اللذان نادى بهما "فيرديناند دي سوسير"، متطلعة إلى مختلف المعاني الخفية وراء ضبابية اللفظ.

— إن واسيني الأعرج بخبرته العالية في مجال الرواية، استطاع أن يوفق بين شكل الرواية ومضمونها، دون أن يهمل الجانب الفني منها. في وقت نفسه كان فيه معظم الرواة قد أهملوا هذا الجانب (الفني)، وانشغلوا بمعالجة القضايا الاجتماعية فحسب.

— يكون العنوان بالنسبة للقارئ بمثابة العتبة الأولى التي يلج من خلالها إلى عالم النص.

— كثيرا ما يكون العنوان يحمل رموزا لا يعبر عنها الكاتب صراحة، فيستخدم أسلوب المراوغة والتمويه، وغايته في ذلك تحقيق جمالية النص والتلقي.

— رواية "ذاكرة الماء" تصوير حقيقي لواقع مأساوي عاشته الجزائر في فترة من تاريخها المجيد، الحافل بالبطولات والحامل للتحديات، فأحداث الرواية التي مرت بنا خير تعبير عن هذه المعاناة، حيث كانت إسترجاعا لذكريات شعب وتاريخ أمة، عاشت المأساة وذاقت طعم الجرائم والقتل.

— إن توظيف الروائي للفظ "ماء" في عنوان الرواية الرئيسي دلالة واضحة على أنه لا زال متفائلا، يتطلع إلى غد أفضل. فالماء رمز للحياة والنمو والطهر والنقاء.

— إن اقتران عبارة "محنة الجنون العاري" بالعنوان الرئيسي لـ "ذاكرة الماء"، تزيد المعنى غموضا وتعقيدا، فقد جمع الروائي في هذه العبارة ثلاثة ألفاظ متتابعة، تدل جميعها على الجانب السلبي، وهذا ما يتماشى وذاكرته الجريحة، وقلبه المصاب بشتى الهموم والمآسي.

— ربما يسهب الروائي أثناء سرده للأحداث، لكن سرعان ما يستفيق ليعود مجددا إلى المركز والنواة، هذا المركز ألا وهو العنوان.

— قد يأتي العنوان في صيغ مجازية أو إستعارات، فيتزين للقارئ في شكله المغربي، وبذلك يستهويه ويشد إنتباهه.

— في الرواية عناوين فرعية تتوزع على أجزائها وفصولها، توظف في شكل رموز وإيحاءات، هي الأخرى لها دلالات تتعدد بتعدد القراء لها، كل بثقافته وفهمه الخاص. ذلك أن السيميائية تعطي حرية للباحث، تتمثل في تأويل النص حسب وجهة نظره الخاص وحمولته الثقافية والفكرية.

ويبقى الدرس السيميائي مفتوحاً بصورة لا نهائية، منتظراً قراء وباحثين جدد، يصدقون عليه
بثمرات أفكارهم، ويضيفون عليه صفة الحياة والإستمرارية.

فَلَا تَطْلُبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا

قائمة المصادر والمراجع :

أولاً: قائمة المصادر:

- القرآن الكريم

1- واسيني الأعرج :

" ذاكرة الماء"، دار الفضاء الحر، ط1: 2001.

ثانياً: قائمة المراجع:

1- مسيكة ذيب :

البنية العاملة في رواية (عباد الشمس) السحر الخليفة، دراسة سمائية، مذكرة لنيل
شهادة الماجستير في الأدب العربي الحديث، جامعة منتوري قسنطينة، 2007-2008.

2- جميل حمداوي :

السميوطيقا و العنوان، عالم الفكر، الكويت، مارس العدد: 3 مارس 1997.

3- حنون مبارك:

" دروس في السميئيات"، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط1: 1987.

4- بشير تاويريريت :

"محاضرات في منهج النقد العربي المعاصر".

5- نوري سعودي ابو زيد :

" الدليل النظري في علم الدلالة"، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.

6- سعيد علوش :

"معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة"، مطبوعات المكتبة الجامعة، الدار البيضاء
المغرب 1984.

7- الطاهر رواينية :

"الفضاء الروائي في الجازية و الدراويش" لعبد "الحميد بن هدوقة"، دراسة في المبنى
المعنى، 1991.

8- عبد الحق بلعابد :

"عتبات" (جيرارجينات من النص الى المناص) منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1
2008.

9-أسعد علي :

"مسرح الجمال و الحب و الفن في صميم الإنسان"، دار الرائد، بيروت، لبنان
ط3: 1981.

10- أحمد مختار عمر :

"اللغة واللون"، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1997.

11- شاكر عبد الحميد :

"التفضيل الجمالي"، عالم المعرفة، ع 267، مارس، 2001.

12- سامح الرواشدة :

" منزل الحكاية"، دراسة في الرواية العربية، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان

الأردن ن ط1: 2006

13- سامح الرواشد :

"تقنيات التكبل البصري في الشعر العربي المعاصر" مؤنه للبحوث و الدراسات مج 12

ع2،1997.

14- محمد فكري الجزار :

"العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1998.

15- حنون مبارك:

" دروس في السميئيات "، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط1: 1987.

16- عبد الله إبراهيم و آخران: معرفة الآخر:

"مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط1،1990.

17-يوسف وغليسي :

"محاضرات في النقد الأدبي المعاصر"، منشورات جامعة منتوري قسنطينة ،2005.

ثالثا: قائمة المراجع المترجمة:

1- بيير جيرو:

" علم الإشارة " -السيميولوجيا- ترجمه عن الفرنسية منذر عيّاشي، دار الطلاس

للدراستات والترجمة والنشر دمشق، ط1، 1988.

2- ترنس هوكرز:

"البنبوية وعلم الإشارة"، ترجمة مجيد الماشطا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1،

. 1986

3- روبرت شولز :

اللغة والخطاب الأدبي، ترجمة: سعيد الغنمي، الدار البيضاء، المغرب ، ط1: 1993.

4- بيرجيور:

"مقدمة علم الإشارة" -السيمولوجيا-، ترجمة : مازن الوعر.

رابعاً: قائمة الدوريات :

3- جميل حمداوي :

" مجلة عالم الفكر الكويت " ، 25 ، العدد 3 مارس 1997.

4- أحمد قنشودة :

محاضرات الملتقى الوطني الثاني " السيمياء والنص الأدبي " دار الهدى للطباعة و

النشر والتوزيع ، عين مليلة.

5- إلهام علوي :

الفضاء النصي في رواية ذاكرة الماء ، ضمن أعمال الملتقى الأدبي الوطني الخامس

عبد الحميد بن هدوقة.

6- ابن حميد رضا :

الخطاب الشعري الحديث من اللغوي إلى الشكل البصري ، مجلة نوصول، مج 51

ع2 صيف 1996.

7- محمد الهادي المطوي:

شعرية عنوان كتاب: الساق على الساق فيما هو الفرياق، مجلة عالم الفكر مج28

عدد1، يوليو 1999.

8- إيناس عياط :

الرواية و بيداغوجية القراءة، ضمن أعمال الملتقى الوطني الرابع ، عبد الحميد بن هذوقة.

9- جميل حمداوي :

السميوطيقا والعنوان مجلة عالم الفكر، مج25، ع3، مارس 1997.

خامسا: قائمة المعاجم:

3- ابن منصور:

لسان العرب

4- أنطوان نعمة ، عصام مدور ، لويس عجيل ، متري شماس :

" المنجد في اللغة العربية المعاصرة" دار المشرق بيروت ط1 2001

5-الجوهري:

الصحاح ، دار العلم للملايين ، بيروت ط3 : 1984 ، 5/ 1956 ماجة (سوم).

6-بطرس البستاني :

محيط المحيط ، مكتبة لبنان ، بيروت.

7- la rousse ,dictionnaire historique, thématique des littératures librairie

1986.

فصل في الوضوء

الصفحة	الموضوع
	بسم الله الرحمن الرحيم
	دعاء
	شكر وتقدير
	الإهداء
	قائمة المحتويات
	خطة البحث
أ-ج	مقدمة
3-1	تمهيد
18-3	الفصل الأول : إشكالية المصطلح
7-3	1- ماهية السيميائية
4-3	1-1- لغة
7-4	1-2- اصطلاحا
9-8	2- الإتجاهات السيميولوجية
8	1-2- سيميولوجيا التواصل
9-8	2-2- سيميولوجيا الدلالة
9	2-3- سيميولوجيا الثقافة
13-9	3- ماهية العنوان
12-11	1-3- لغة
13-12	2-3- اصطلاحا
15-14	4-مكان ووقت ظهور العنوان
14	1-4-مكان ظهور العنوان
15	2-4- وقت ظهور العنوان
18-16	5- وظائف العنوان
17-16	1-5- الوظيفة التعيينية
17	2-5- الوظيفة الإيحائية
18-17	3-5- الوظيفة الوصفية
18	4-5- الوظيفة الإغرائية
37-19	الفصل الثاني : دلالة العناوين

21-19	1- دلالات الذاكرة
19	1-1- المستوى اللغوي
22-19	1-2- المستوى الدلالي
23	2- دلالات الماء
23	1-2- المستوى اللغوي
23	2-2- المستوى الدلالي
24	3- مميزات الغلاف الخارجي لذاكرة الماء
27-24	4- دلالات الألوان
-28	5- قراءة في العناوين الفرعية لـ " ذاكرة الماء "
32-31	5-1- العنوان الرئيسي: " ذاكرة الماء "
36-33	5-2- العنوان الفرعي: " محنة الجنون العاري "
38-37	5-3- العنوان الجزئي الأول: " الوردة والسيف "
41-39	5-4- العنوان الجزئي الثاني: " الخطوة و الأصوات "
د-هـ	خاتمة
	قائمة المصادر والمراجع
	تم بحمد الله

شهر الحرام